

المنازعات بين البشر واقعة كونا وإن ذمها الله شرعا، وعلاجها تحقيق الصلح فيما بينهم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد:

إن الناس في هذه الحياة على اختلاف ألوانهم، وتباين لغاتهم، وتباعد أقطارهم بعضها عن بعض؛ لم يعلم عن أحد منهم في وسط المعمورة ولا في أرجائها أنه لم يحدث بينهم خصومات ومنازعات، بل إن الطبيعة الغريزية لتحمل كل إنسان إلا من عصم الله على محبة التغلب والانتصار على منازعه أو خصمه، فإن كانت صالحة فالمرء يريد استيفاء حقه، وإن كانت طالحة فيريد المرء التغلب والانتصار على الخصم بأي طريق، لذا فكثيرا ما تقع الخصومات والمنازعات بين فرد وآخر وقرية وأخرى، فلذا عني الإسلام بهذا الشأن فأمر بالصلح ورغب فيه وجعل المصلح حاكما نافذا حكمه قال تعالى: ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) وقال تعالى: ((لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ)) وقال تعالى في حق الزوجين ((وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا))، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى، قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح، وللترمذي (لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) وقال صلى الله عليه وسلم: (كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين

(تصلح بينهما بالعدل) صدقة) رواه البخاري ومسلم.

فعلى كل مسلم أن يكون دائما مشاركا في هذه الحياة بنفع إخوانه، مسابقا في ميادين الإصلاح والعمل المثمر، مسارعا إلى ما يؤلف القلوب ويرفع عنهم البغضاء والشحناء، مثابرا على رفع مستوى أمته لتكون خيرا أمة أخرجت للناس، وبذلك يسمو بين الورى بحسن الثناء ويسعد في آخرته عند الله، إن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا، ويقول الشاعر:

لا تزهّد الدهر في عرف بدأت به كل امرئ سوف يجزى بالذي
فعلا

إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل
والجبال

وعلى المصلح أن يكون الإخلاص هو الدافع له على الصلح لقوله تعالى ((ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما)) ، وأن يكون صلحه سائرا تحت لواء الشريعة، فلا ينفذ صلحا مخالفا للسنة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) رواه مسلم، يكون مردودا عليه لعدم صحته وقد رد صلى الله عليه وسلم الصلح الباطل في قصة العسيف حيث قال صلى الله عليه وسلم: (أما الوليدة والغنم (التي اصطلحتم عليه) فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام رواه البخاري ومسلم.

فيا أيها المسلم الذي وقع في مشكلة مع غيره عليك بقبول الصلح لما فيه من الخير الكثير، من جمع للكلمة، وحقن للدماء، وإرجاع الحقوق، وإغاظة لأعداء الله، ومن أعظم الأدلة على ذلك قصة صلح الحديبية الذي ظاهره النقص والضرر على المسلمين وفي باطنه ما تجلى من المنافع العظيمة التي ظهرت لكل واحد بعد فترة قصيرة من الزمن، وأعظم ذلك فتح مكة، ولما في قصة الزبير مع خصمه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك) مريدا بذلك الصلح فلم يوافق الخصم على ذلك فقال الرسول

صلى الله عليه وسلم: (اسق (يعني الزبير) ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر) رواه البخاري، مستوعبا في ذلك حق الزبير في صريح الحكم، فلو قبل الخصم الصلح لكان له فيه خير عميم، وقد أمر الله تعالى بالصلح ورغب فيه لما يحصل في الخصومات والمشاهدات من الأضرار العظيمة؛ من سفك الدماء وذهاب الحقوق وتجسم العداوات، ومن آثار الخصومات على الأمة تكدر الأحقاد في القلوب؛ التي تدعو إلى الهموم، وتكونوا سببا لمضيعة الوقت على الأمة من دون جدوى ولا فائدة غالبا، بل ضرر الخلاف والمنازعات على الأمة ظاهر في اقتصادها وأمنها وسمعتها، ولا يكون للمسلم الخروج من نفق الأحقاد، ودهاليز المنازعات إلا بقبول الصلح، متسامحا عن بعض حقه ليرتاح من عناء تحقيق حقه وقد يضيع حقه كليا بسبب عدم خوف خصمه من الله، وخصوصا في هذا الزمان وما فيه من زخرف القول الذي يجعل الباطل حقا والحق باطلا مما يخالف قول الله سبحانه ((وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْأَثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ))

وكتبه العربي الجزائري أبو عبد الباري
عبد الحميد أحمد